بعد غزو اسرائيل للبنان وخروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت، صارت دمشق، بالضرورة، الممر الجغرافي ـ السياسي الى مقاتلة اسرائيل، فحاولت سوريا الاستفادة من ذلك لتحقيق ما لم تحققه من قبل. لكنها واجهت عناداً فلسطينياً، فلجأت الى شق الحركة الوطنية الفلسطينية، ومن ثم الى مقاتلة من لم يرضخ لها منها (حصار طرابلس العام ١٩٨٣). وبخروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان، تمكنت سوريا من وضع الورقة اللبنانية كاملة تقريباً في يدها. لكن الوضع في لبنان لم يدم كما ارادته سوريا. فقد تمكن المقاتلون الفلسطينيون، من خلال قتالهم اسرائيل الى جانب المقاومة الوطنية اللبنانية، من استعادة قوة وجودهم المسلح في لبنان. وبانسحاب اسرائيل من معظم لبنان تجددت المهمة الفلسطينية، الا وهي قتال اسرائيل من أي مكان تستطيع القتال منه، فعادت م.ت.ف. لتخلخل الانتظام اللبناني في النسق السوري ـ حسب التفسير السوري.

وباعتبار ان عودة م.ت.ف. للعب دور مباشر، عسكري وسياسي، في ساحة الشرق الاوسط، خارج الوصاية السورية، يقلل من القوة الاقليمية التي احاطت سوريا بها نفسها، أجازت سوريا لحركة «امل» العمل على نزع سلاح الفلسطينيين، وسلحتها بالدبابات. وفي اطار محاولات تحييد جزء من الفلسطينيين، اعلنت «امل» انها تقاتل جماعة ياسر عرفات فقط. لكن القذائف التي كانت تسقط على المخيمات لم تكن تميز بين فلسطيني ياسر عرفات وفلسطيني غيره. ولم يستطع حتى حلفاء سوريا من الفلسطينيين الصمت، فقاتلوا ضد «امل»، وشكل ذلك حرجاً لسوريا التي اضطرت لاتخاذ موقف الحكم. وترتيب اتفاقات وقف اطلاق النار لم تكن تصمد امام الدوافع والمصالح التي تحرك «امل» والتي لا يعارضها السوريون، على مايبدو، لان نتائجها تدخل في نسق سياستهم، مع ملاحظة ان السوريين يستطيعون زجر «امل»، بشكل قاطع، للكف عن التعرض للمخيمات الفلسطينية.

يذهب البعض، تحت غطاء موضوعية العرض والتحليل، الى توزيع مسؤولية ما يحصل ضد المخيمات الفلسطينية في لبنان بالقسطاس، جزء لـ م.ت.ف. وجزء «لامل» وجزء لسوريا، ولا ينسى اسرائيل كي تكون لوحة العرض شاملة. وينسى هذا البعض، تماماً، ان «من يده في الماء ليس كمن يده في النار»، و م.ت.ف. ليست الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني لوجه الله؛ فهي مسؤولة عن حماية وجود الفلسطيني وكرامته اللذين تستقوى بهما. وهي التي بلا وطن تحمي فيه شعبها فتحميه بتسليحه وتدريبه.

واذا كانت مسؤوليتها فيما يحصل خطأ، فمسؤولية الآخرين خطيئة.